وكان القضاء في أول السنة يتولاه الصَّدْر أحمد بن سني الدولة مستقلاً به من خمس عشرة سنة إلى أن ولَّى التَّاتار كمالَ الدين عمر بن بُنْدار التَّفْليسي، ثم ولوا محيي الدين بن الزكي، ثم ولَّى قُطُز نجمَ الدِّين بن الصَّدْر بن السني.

وابتُلي النَّاس في هذه السنة بغلاءٍ شديد عامّ في جميع الأشياء من المأكول والملبوس وغيرهما. بلغ رطل الخبز دِرْهمين، ورطل اللحم خمسة عشر درهماً، وأوقية القنبريس درهماً، وأوقية الجبن درهماً ونصف، والثوم أوقية بدرهم، والعنب رطل بدرهمين.

ومن أكبر أسبابه ما أحدَثه الفرنج من ضَرْب الدَّراهم المعروفة باليافية، وكانت كثيرة الغش، بلغني أنه كان في المئة منها نحو خمسة عشر درهماً فِضة والباقي نحاس، وكَثُرَتْ في البلد كثرة عظيمة، وتحدِّثَ في إبطالها مراراً، فبقي كل مَنْ عنده شيءٌ حريصاً على إخراجه خوفاً من بُطْلانها، فتراه يدأب في شراء أي شيء كان بها، فيتزايد في السِّلَع بسبب ذلك إلى أن بطلت في أواخر السنة، فعادت تباع كل أربعة منها بدرهم ناصري مغشوش أيضاً بنحو النصف.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وست مئة

أولها يوم الاثنين لأيامٍ خلون من كانون الأول.

ففي أول محرَّم جاءنا الخبر بجفلة أهل حلب وما والاها إلى دمشق بسبب تجمُّع التَّاتار الذين كانوا بحرَّان وغيرها من بلاد الجزيرة، وانضمَّ إليهم مَنِ انهزمَ من وقعةِ كَسْرتهم، وضعفوا بما كان عندهم من شِدَّة الغلاء بحرَّان، وكانت البلاد قد خربت، فاضطروا إلى الإغارة على بلاد حلب، فانجفل النَّاس منهم، ثم جاءنا الخبر في سابع محرَّم بأنهم كُسروا بأرض حمص كسرةً عظيمة، فَضُربت البشائر بذلك، وكانت الكسرة عند قبر خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى قريب الرَّستن، وذلك يوم الجمعة خامس محرَّم، وقتل منهم نحو ألف رجل، ولم يقتل من المسلمين سوى واحد.

وفي ثالث عشر شهر محرَّم طِيْفَ برؤوس طائفةٍ منهم في أسواق دمشق من القتلى، مرفوعة على عصي بأيدي الصِّبيان، يجبى عليها بالفلوس.

وفي يوم تاسوعاء توفي الشَّرف حسن[1] بن الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي ـ رحمه الله ـ وكان رجلاً خيِّراً.

ثم جاءنا الخبر في نصف محرَّم برجوع التَّاتار، ونزولهم على حماة، فَجَفَلَ النَّاسُ إلى دمشق، وقَدِمَ صاحبُ حمص وصاحبُ حماة في طلب النجدة، واجتماع كلمة المسلمين على القتال.

ونزل المجاهد الحلبي الذي كان قد تسلطن بدمشق عن السلطنة، وانقاد الجميع لسلطنة صاحب مصر لقوته بالمال والرجال.

ثم ورد الخبر برجوع التَّاتار، وتخطُّف صاحِبِ صهيون منهم جماعة، وقَتْلِ ٢١٢
الحشيشية لصاحب سيس ـ لعنه الله ـ ووقَعَ السيف بين التَّاتار وابن صاحب سِيْس، الله يصدق ذلك، ويتمِّم نَصْرَ المسلمين.

وفي خامس صفر توفي جمال الدِّين يوسف بن النَّاصح علي بن مرتفع بن أفتِكِين، وكان هو وأبوه وأخوه من عدول البلد، وينزلون المدرسة المسرورية ـ رحمه الله ـ ودفن على أبيه بالجبل.

وفي ليلة الأحد ثاني عشر صفر هرب سنجر الحلبي الذي كان تَسَلْطن بدمشق، ونزل في قلعة بَعْلبك، وقُبض على أعوان الظَّلمة الذين كانوا منصوبين لمصادرة النَّاس، منهم المجاهد سليمان، وغلامه سيف الدين، والأسعد المسلماني، ثم قُبِض عليه من بعلبك، وأرسل تحت الحوطة إلى مصر.

---

(١) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٣٤٤، العبر للذهبي: ٥/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٥١، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٩١ ـ ٩٢، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٧٣، المنهل الصافي: ٥/ ٨٨ ـ ٨٩، الدليل الشافي: ١/ ٢٦٣ـ الدارس: ٢/ ٣٢، المنهج الأحمد: ٤/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٧١، شذرات الذهب: ٥/ ٢٩٨.

وفي العشرين من صفر توفي الكمال القَزْويني؛ أحد القُرَّاء بالتربة الأشرفية، وكان شيخاً صالحاً، ومقرئاً حسناً، رحمه الله.

وفي الحادي والعشرين درَّس القاضي نجم الدِّين بن الصَّدْر بنِ سني الدَّولة بالمدرسة العادلية، وعُزِلَ الكمال التَّفْليسي عنها، واعتقل بسبب الحياصة[١] النَّاصرية التي تسلَّمها من التَّاتار، وكانت رهناً بمخزن الأيتام على الدَّيْن الذي اقترضه النَّاصر صاحب دمشق من ورثة عَرَفة الدُّنَيْسري، فبقي الكمال في الاعتقال خمسة عشر يوماً، ثم ألجئ في السنة الآتية إلى التحول من دمشق إلى مصر، ففارق ما كان فيه، وسكن مصر.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول توفي الخطيب زين الدِّين؛ خطيب حماة ـ رحمه الله ـ وكان له معروفٌ كثير، ووقف أوقافاً حسنة، وكان حَسَنَ الخطابة، كثير الخير والصدقة.

وفي هذا الشهر تجمَّع الفرنج، وخرجوا على المسلمين، وهم تسع مئة فارس قنطارية، وألف وخمس مئة تُرْكُبلي[٢]، ونحو ثلاثة آلاف راجل، أُخذ الجميع قَتْلاً وأَسْراً، ولم يُفْلت منهم سوى واحدٍ وبعض من كان معهم، وانضاف إليهم من رجَّالة تلك الضِّياع من ضعاف المسلمين في الدِّين، وأُسر جماعةٌ من ملوكهم.

وفي يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر توفي ابني الصَّغير إسماعيل ـ جعله الله فَرَطاً صالحاً لأبويه، ورحمه وإيانا ـ وصلَّيْتُ عليه خارج بابِ النَّصْر، ودفنته بجنب إخوته بمقبرة ابن زويزان المجاورة للصُّوفية، وعمره يوم مات سنةٌ واحدة وشهران ونصف شهر.

---

(١) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ١٧١ من الجزء الأول.

(٢) تركبلي تعريب Turcopole جند في خدمة الفرنج، آباؤهم أتراك أو عرب، وأمهاتهم يونان، وكانوا رماة الفرنج، وذكرهم ابن العديم باسم «كافر ترك» انظر حاشيتنا رقم ٣ في «كتاب الروضتين»: ٢/ ١٥١.

وفي ذلك اليوم توفي الخادم سابق الدِّين الأشرفي؛ المجاور بالتربة الأشرفية، وكان خادماً خيِّراً، رحمه الله.

وفي عاشر ربيع الآخر توفي التَّاج السَّاسي المغربي، وكان شيخاً فيه خيرٌ وسكون وحياء، مقرباً عند الحاكم بدمشق الصَّدْر بن سني الدولة، رحمه الله.

وفي الحادي والعشرين من ربيع الآخر توفي الشَّريف المُخَلِّص من بني أبي الحسن الحسيني؛ التَّاجر بقيسارية الفرش، وكان شيخاً كبيراً، وأحد عدول القاضي، رحمه الله.

وفي تاسع جُمادى الأولى عُقِدَ مجلسُ العَزَاء بالجامع المعمور بدمشق للسُّلْطان الملك النَّاصر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب[1]؛ الذي كان سلطان حلب، ثم ملك دمشق وأعمالها، وهرب من التَّاتار، وسلَّم إليهم بلاده، ثم سَلَّم نفسه إليهم، فأهانوه، ومضى إلى ملكهم هولاوو، فجاءنا خبره أنه ضربت رقبته مع جماعةٍ لما بلغهم أنَّ العسكر المصري كسروا عسكر التَّاتار بعين جالوت، وقُتِلَ ملكهم كَتْبُغا، فكأنهم اقتصُّوا به منه، رحمه الله.

ومات قبل ذاك بيومين الشجاع بن سُنْقُر شاه؛ الذي كان يتناول وقف تنش[2] بقرية داعية، رحمه الله.

---

(١) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ١/ ٤٦١ ـ ٤٦٩، ٢/ ١٣٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ٢١١ ـ ٢١٢، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٧، العبر للذهبي: ٥/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، عيون التواريخ: ٢٠/ ٢٥٧ ـ ٢٦٣، فوات الوفيات: ٤/ ٣٦١ ـ ٣٦٦، الوافي بالوفيات: ٢٩/ ٣٠٤ ـ ٣١٤، أمراء دمشق: ١١٧، ١٦٣، تحفة ذوي الألباب: ٢/ ١٥٣ ـ ١٥٩، البداية والنهاية (حوادث سنة ٦٥٨ هـ)، السلوك: ج١/ق٢/ ٤١٦، شفاء القلوب: ٤٠٨ ـ ٤٢١، النجوم الزاهرة: ٧/ ٣، الدارس: ١/ ١١٥، ٤٥٩، القلائد الجوهرية: ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨، شذرات الذهب: ٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠، منادمة الأطلال: ١٤٩، ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) في (ك) و(ع) مهملة، وفي (س): بيس، وفي الأصل: تيش، والمثبت من (ب)، ولعل المراد تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان السَّلْجوقي، وكان قد ملك دمشق وأعمالها، وقتل سنة (٤٨٨هـ)، انظر أخباره في «كتاب الروضتين»: ١/ ٩٥، ٩٦، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩.

وفي هذه الشهور توفي جمال الدِّين الرَّبيع؛ الشَّاهد تحت السَّاعات.

وذُبح زين القضاة عبد الرحمن بن المجد عثمان بن الظَّهير عبد الواحد بن زين القضاة عبد الرحمن بن سُلْطان بالجبل.

ثم ورد إلى دمشق أولاد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وهما صاحب
٢١٣ الجزيرة يومئذٍ وصاحب المَوْصِل بعيالهم وأموالهم، ومعهم من أهل البلاد من كان له قُدْرةٌ على السَّفَر لخوفٍ عَرَضَ لهم، وساروا إلى مِصْر، ثم رجعوا مع سُلْطانها في آخر السنة، ومضَوْا إلى بلادهم ظاهرين على العدو، إن شاء الله.

وفي تاسع عشر رجب قُرئ بدمشق بالمدرسة العادلية كتابٌ وَرَدَ من مِصْر من السُّلْطان الملك الظَّاهر بيبرس يتضمَّن أنَّه قَدِمَ عليهم مِصْرَ أبو القاسم أحمد بن الظَّاهر محمد بن النَّاصر لدين الله أحمد أمير المؤمنين، وهو أخو المستنصر بالله الذي بنى المستنصرية ببغداد، وأنه جَمَعَ له النَّاس من مدينتي مِصْر والقاهرة من العلماء والأمراء والتُّجَّار، وأثبتَ نسبه عند قاضي القضاة بذلك المجلس، فلما ثَبَتَ بشهادة جماعةٍ من الحاضرين عرفوه أنه ولد الظَّاهر بن النَّاصر أسجل الحاكم عليه بثبوتِ ذلك، ثم بايع له النَّاس بعدما بدأ السُّلْطان بمبايعته، ورضوا جميعاً بخلافته، وأمر بنقش اسمه على الدِّينار والدِّرْهم، وأن يُخْطَبَ له على المنابر، وكان ذلك الإثبات والمبايعة في رابع ساعة من يوم الاثنين ثالث عشر رجب، وسُرَّ النَّاس بذلك سروراً عظيماً، وشكروا الله تعالى بعود الخلافة العباسية بعدما كان الكَفَرَةُ التَّاتار قطعوها بقَتْلِ الخليفة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر، وهو ابنُ أخي هذا الذي بويع بمصر، وبسبب تخريب بغداد وقَتْلِ أهلها، وذلك في سنة خمسٍ وخمسين وست مئة، فبقي النَّاسُ بغير خليفة نحو أربع سنين ونصف.

وصورة الكتاب الوارد إلى قاضي دمشق:

هذه المكاتبة إلى القاضي نجم الدِّين نعلمه بما تجدَّد من أمر يبهج الأمة، ويستدعي الرحمة، ويأخذ الثأر ممن هتكوا للإسلام حُرْمة، وهو أنه وَرَدَ علينا الإمام أبو القاسم أحمد؛ ولد الإمام الظاهر بن الإمام النَّاصر ـ سلام الله عليه ـ أكرمنا وفادته إكرام مثله، وتلقيناه بإحسان يقضي لقاصده باجتماع شمله، وجمعنا العلماء والأئمة والفقهاء والأمراء والأكابر والتجار، ومن يشار إليه من أهل المدينتين، وفاوضناهم بحضور الإمام ـ سلام الله عليه ـ في أمر نسبه، وأخذ البيعة له، فحَضَرَ جماعةٌ شَهِدوا بالاستفاضة أنه ولدُ الإمام الظَّاهر، وثبت ذلك عند قاضي القضاة لدينا ثبوتاً شرعياً، وأسجل عليه بحضور العالم، وعند ذلك بسطنا لمبايعته راحتَنا، واقتفى أَثَرَنا الأمراءُ والحلقة والنَّاس كافة في مبايعته والرِّضى بخلافته، وذلك في رابعة يوم الاثنين ثالث عشر رجب، وتقدَّمنا بأن يُخْطَبَ له، ويُتوَّج مَفْرِقُ الدِّينار والدِّرْهم باسمه الشَّريف، ونحن بصَدَدِ اهتمام نُصْرة الإسلام على يديه، وإهداء كرائم الأموال والذَّخائر إليه، فليستند من منصبه الشَّريف إلى إمامٍ صحيح النَّسَب، شريفِ الحَسَب، ويجعل استناد أحكامه إلى ولايته الصَّحيحة[1]، ومبايعته الصَّريحة، وليُعْلن بهذا الخبر السَّار، في البادين والحُضَّار.

وفي سابع عشر شعبان[٢] توفي بحماة الشيخ شرف الدِّين محمد بن[٣] الحوراني، كان مشهوراً بالعِلْم والزهد.

وفي خامس رمضان توفي[٢] الشِّهاب بن خواجا أخو الضِّياء المعروف

(١) من هنا يبدأ خرم في (ك) بمقدار ورقة، ينتهي حتى قوله: بالشباك الكمالي. انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ١٦٧ من هذا الجزء.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب).

(٣) بياض في الأصل، وهو محمد بن عبد الله بن موسى الحوراني، كما جاء في ترجمته في الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

بالجوبراني، أحدُ فقهاء المدرسة الحُسامية، وكان رجلاً صالحاً، سليمَ الصَّدْر، به نوعُ اختلالٍ، يسكن في تربة مثقال الجمدار قُبالة تُرْبة شركس بجبل قاسيون في قبالة تربة خاتون، رحمهم الله تعالى.

وفي شوال قُتِلَ قطبُ العالم أخو العِزّ الخِلاطي الذي شَنَقَ نفسه بالمدرسة العادلية.

وفي يوم الاثنين سادس ذي القعدة وَصَلَ إلى دمشق العساكر المِصْرية مع السُّلْطان الظَّاهر ركن الدين بيبرس الصَّالحي المعروف بالبندقداري، ومعهم الخليفة المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بن الناصر، واحتفل الناس للقائهما، وكان يوماً مشهوداً، ونزل الظاهر بالقلعة، ونزل الخليفة بالتربة السلطانية النَّاصرية بجبل قاسيون.

ثم في يوم الجمعة عاشر ذي القعدة دخل الخليفة إلى جامع دمشق من باب البريد، وجاء السُّلْطان من باب الزِّيادة، ودخلا مقصورة الخطيب، سَبَقَ الخليفة
٢١٤ وبعده جاء السُّلْطان، وحضرا الخطبة والصَّلاة، ثم خرجا بعد الصَّلاة، والنَّاسُ يدعون لهما بالنَّصْر والإعانة على قَمْعِ الكفرة أعداء الدِّين.

وفي ثاني عشر ذي القعدة توفي الزَّين عمر بن عقيل التَّنوخي، وكان قليل الدِّين مخلِّطاً، اللهم استرنا، واغفرْ لنا.

وجاءنا الخبر في ذي القعدة من الدِّيار المِصْرية بوفاة الصَّفي إبراهيم ابن مرزوق[1]، التَّاجر المحظوظ في التجارة، وكان من زمن الملك الأشرف موسى يدعى بالصَّاحب، وبقي بالشَّام مُدَّة يُتَصَدَّق عنه كل يوم بجملةٍ من الخُبْز، رحمه الله.

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن هبة الله بن مرزوق، له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ١٢٦، العبر للذهبي: ٥/ ٢٥٣، عيون التواريخ: ٢٠/ ٢٥٦، الوافي بالوفيات: ٦/ ٣٩، المقفى للمقريزي: ١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢، شذرات الذهب: ٥/ ٢٩٧، وانظر ص ٤٥ من هذا الجزء.

وفي يوم الخميس الثَّالث والعشرين من ذي القَعْدة سافر الخليفةُ بمن صَحِبَه من العساكر إلى نحو العراق على طريق البرية، وسافرتْ قطعةٌ من العساكر إلى أرض حلب وحَرَّان، وطائفةٌ ساروا إلى بلاد الفرنج ـ نصر الله المسلمين ـ فأغاروا، ثم عادوا، ووقع الصُّلْح بينهم.

وفي يوم الخميس ثامن ذي الحِجَّة عُزِلَ عن قضاء دمشق النَّجْم بن الصَّدْر بن سني الدولة، وتولى الحكم القاضي شمس الدين أحمد بن بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلِّكان؛ الذي كان نائباً في الحكم بالقاهرة سنين كثيرة، وجلس مكان النَّجْم وأبيه بالمدرسة العادلية، ثم وُكِّل على النَّجْم، وأُمِر بالسَّفَر إلى الدِّيار المصرية، وكان حاكماً جائراً فاجراً، ظالماً متعدِّياً، فاستراح منه العبادُ والبلاد، وهو الذي شاع عنه أنه أُودع كيساً فيه ألفُ دينار، فَرَدَّ بدله كيساً فيه فلوس، وذُكِرَ ذلك في القصيدة التي هُجي بها لمَّا تولى الحُكْم، أولها:

أيـهـا الـمـالـك الـمُـظَـفَّـر والـمـو ... لى الأمير المجير وابن وداعَهْ[1]

وفي الجملة تولى الحكم في زماننا ثلاثةٌ مشهورون بالفِسْق: هذا الظَّالم، والرَّفيع الجِيْلي، وابن الجمال المِصْري؛ كان نائباً عن أبيه.

وقلت في حَصْرِ القُضَاة ونوَّابهم:

دمشقُ في عَصْرِنا مَعْ فَضْلها بُلِيَتْ ... مـن الـقُـضَـاةِ بـجُـهَّـالٍ وأوْقـاحِ

بـأَعْـجَـمِـيْـنَ ومِـصْـريٍّ وصـائـغـهـم ... وإرْبِـلِـيٍّ وخَـيَّـاطٍ وفَـلَّاحِ

هُـمْ ضِـعْـفُ سـتـةِ والـنُّـوَّابُ كـلُّـهُـمُ ... ضـعـفـانِ أحـزانُـهُـمْ أضـعـافُ أفـراحِ

أي هم اثنا عشر: الزَّكي، وأخوه، وابنُ الحَرَسْتاني، وابنه، والجمال المِصْري، والخُوَيِّي، والرَّفِيع، والتَّفْليسي، وبنو سني الدَّولة ثلاثة، وابن

(١) هو عبد العزيز بن منصور، انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٣٩٠.

خَلِّكان[1]، والنُّوَّاب ثمانية عشر: شرف الدين بن زين القضاة، وابن الشِّيْرازي؛ والسَّرَّاج مدرس القَيْمازية؛ وابن المَوْصلي، والشَّرف الحَوْراني، والنَّجْم الحنبلي، وابن المِصْري، والسِّنْجاري، ومَلِكْشاه، وعبد الله. والتكريتي، وقاضي العَسْكر، وابن عبد الكافي، وابن العَجَمي، وإسحاق، والبَدْر بن خَلِّكان، وأخو المحيي، وابنه.

وقلتُ في نظم الاثني عشر:

هُمُ الزَّكي والحرستاني معاً وجما ... لُ مِصْرَ ثُمَّ الخُوَيِّي ثُمَّ ذو الرَّاحِ
رفيعُهُمْ وبنو السَّني ومُحْييهم ... وخَلِّكانَ معَ التَّفْليسِ يا صاحِ[1]

ثم سافر الحاكم المعزول إلى مصر تحت الحوطة يوم الخميس خامس عشر ذي الحجة، والدعاء عليه كثير، والتظلم منه شائع، والدعاوى عليه كثيرة.

٢١٥ وأنشدني العماد داود بن الحموي لنفسه في ذلك القاضي المعزول:

نجمٌ أتاه ضِياءُ الشَّمْسِ فاحْتَرَقا ... وراحَ في لُجَجِ الإدبار قد غَرِقا
ناحتْ عليه الليالي وَهْي شامِتَةٌ ... وعَرَّفَتْهُ صروفُ الدَّهْرِ ما اخْتَلَقَا
وحدَّثَتْه الأماني وَهْي كاذِبَةٌ ... بأنَّه لا يرى بعدَ النَّعيمِ شَقَا
وجادَ بالمالِ كي تَبْقَى رياسَتُهُ ... وَفَتَّقَ الشَّرْعَ والتَّقْوى وما رَتَقَا
فجاءهُ سَهْمُ غَرْبٍ جَلَّ مُرْسِلُهُ ... فماتَ معنًى وما أخطاه مَنْ رَشَقَا
وأُلْقِيَتْ في قلوبِ النَّاسِ بُغْضَتُهُ ... لكنَّهمْ قد غَدَوْا في ذَمِّهِ فِرَقا
ففِرْقَةٌ بقبيح الظُّلْمِ تَذْكُرُهُ ... وفِرْقَةٌ حَلَفَتْ باللهِ قد فَسَقَا

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

وفِـرْقَـةٌ[1] سَـلَـبَـتْـهُ ثَـوْبَ عِـضْـمَـتِـهِ بـأَنَّـهُ مِـنْ رِبـاط الـدِّيـنِ قـد مَـرَقـا
وراحَ قَـسْـراً إلـى مِـصْـرٍ عـلـى عَـجَـلٍ مُـوافِـقـاً لـلـذي مِـنْ قَـبْـلِـهِ سَـبَـقَـا
مـفـارقـاً لـنـعـيـمٍ كـان مُـنْـغَـمِـسـاً فـيـهِ ولـلـذَّةِ نَـوْمٍ بُـدِّلَـتْ أَرَقـا

وزِدْتُ أنا[1]:

وفِـرْقَـةٌ وَصَـفَـتْـهُ بـالـخـلاعـةِ مَـعْ خُـبْـثٍ وكِـبْـرٍ فـكـلٌّ مـنـهـمُ صَـدَقـا

وفي الغد يوم الجمعة قرئ بالشُّبَّاك[2] الكمالي بجامع دمشق ـ وأنا حاضر فيه ـ تقليد القضاء للقاضي شمس الدين بن خَلِّكان الإرْبلي، ويتضمن أنه فوَّض إليه الحُكْم في جميع بلاد الشَّام من العريش إلى سَلَمية، يستنيب فيها من يراه، وفوَّض إليه النظر في أوقاف الجامع والمصالح والبيمارَسْتان والمدارس وغيرها مما كانت تحت يد الحاكم المعزول، وفوَّض إليه تدريس سبع مدارس كانت تحت يد الحاكم المعزول أيضاً، وهي: العذروية، والعادلية، والنَّاصرية، والفلكية، والركنية، والإقبالية، والبهنسية.

وفي الغد يوم السبت سارتِ العساكر مع سُلْطانها الظَّاهر راجعة إلى مِصْر.

وجاءنا الخبر من عانة بوصول الخليفة إليها، وأنه اتفق مع الخليفة الآخر؛ الذي كان أقامه برلو بمدينة حلب، ويلقب بالحاكم، ونَقَشَ اسمه على الدَّراهم، وخطب له على المنابر، فلمَّا قَدِمَ صاحب مِصْر والشَّام بالعساكر، وتوجَّه الخليفةُ إلى العراق تَزَلْزَلَ أمره، ووفق بينهما، فانصاع الحاكم المستنصر بسبب أنَّه الأصغر وذاك الأكبر، ووقع الاتِّفاق، وزال الشِّقاق، ولله الحمد.

ثم جاءنا الخبر أنّ في آخر السنة خرج عليهم طائفةٌ من التَّاتار وأصحابهم قبل وصولهم بغداد، فقتلوا الخليفة، وأكثر مَنْ كان معه، ونجا الخليفة الأصغر

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢) إلى هنا ينتهي الخرم من (ك)، انظر حاشيتنا رقم ١ ص ١٦٣ من هذا الجزء.

هارباً إلى العراق، وقَدِمَ جماعةٌ منهم دمشق هاربين، فأخبروا بما جرى عليهم، وممن كان معهم وفُقِدَ الكمالُ بنُ السِّنْجاري، وابن العُمَري، وعبد العزيز بن عبد الملك بن عساكر، وغيرهم.

ثم دخلت سنة ستين وست مئة

٢١٦

ففي يوم الأربعاء ثاني عشر محرَّم ذَكَرْتُ الدَّرْس بالمدرسة الرُّكْنية الملاصقة للمدرسة الفلكية، وابتدأتُ بها درساً من «مختصر» المُزَني ـ رحمه الله ـ بحضرة قاضي القضاة وغيره.

وفيها في أوائل صَفَر توفي البُرْهان إبراهيم الصَّرْخدي، وهو القائل: والدَّليل أنا، رحمه الله.

وفيها في ثاني عشر صَفَر قُتِلَ الزّين مُظَفَّر بن إسماعيل التَّاجر، المعروف بالزَّين الصَّائغ، صاحب الأملاك بقريتي داعية وحمُّورية وغيرهما، قُتِلَ بعد صلاة الجمعة، وهو داخل من جبل قاسيون قبل أن يصل إلى مقبرة ابن صاحب قرقيسيا على حافةِ السَّاقية المقابلة للمزرعة المعروفة بالسُّميرية، قتله شخصٌ من أهل قرية تل منين، تبعه من الجبل، وقد عاينه باع شيئاً واستوفى ثمنه، ولم يمكنه الفُرْصة إلا هناك، ثم مُسِكَ القاتل، فأقَرَّ، فَشُنِقَ بعد يومين بين الميدانين يوم الاثنين، ودفن الزَّين من الغد بجبل قاسيون يوم السبت ثالث عَشَر صفر، رحمه الله.

وفيها يوم الأحد الثَّاني والعشرين من صفر وصل الخليفة الحاكم الذي كان بايعه برلو بحلب، وأُنزل في قلعة دمشق مُكَرَّماً، وذلك بعد الوقعة التي قُتِلَ فيها الخليفة المستنصر[1]، وكان معه، فهرب وسَلِمَ، ثم سافر إلى مِصْر يوم الخميس السَّادس والعشرين من صفر.

---

(١) هو أحمد بن الظاهر بن النَّاصر، له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ١/ ٤٤١ ـ ٤٥٢، ٥٠٠ ـ ٥٠١، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٦٨ ـ ١٧١، العبر للذهبي: ٥/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، البداية والنهاية (حوادث سنة ٦٥٩ هـ)، النجوم الزاهرة: ٧/ ١٠٩ ـ ١١٧، ٢٠٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٧٧ ـ ٤٧٨ .